Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslam Araştırmaları Merkezi

محمد جواد مغنية

فضائل الإمام علي

علمه - جوده - شجاعته
صلاته - بلاغته - حروبه
وغير ذلك

منشورات

دار ومكتبة الهلال
بيروت - لبنان

دار الجواد
بيروت - لبنان

١٩٩١

حقوق الطبع محفوظة

دار ومكتبة الهلال
بيروت - لبنان
ص.ب: ١٥/٥٠٠٣

دار الجواد
بيروت - لبنان
ص. ب ١٤-٥٨١٣
تلفون : ٣٠٠٧٤٨

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة على صفوة الخلق ، وخاتم النبيين وآله وصحبه اهادين المهديين .

وبعد :

فان الحديث عن آل الرسول ، عليه وعليهم افضل الصلوات ، سهل يسير ، وصعب مستصعب ، سهل على من اراد أن يسرد ما تواتر على الألسن ، ودوّن في كتب الفضائل والمناقب ، وصعب اذا حاول الكشف عما فيها من كنوز واسرار ، وما تهدف اليه من غايات سامية ، ومقاصد رفيعة ، لأن الحديث عن كل اولئك ، بل عن بعضها يحتاج الى رصيد ضخم من العلم الصحيح والخلق الكريم .

ومما يؤسف له ان كثيراً من الذين كتبوا عن اهل البيت لا يملكون غير الحب والولاء ، وبديهة ان الحب شيء ، والعلم شيء آخر ، وهل يسوغ لمن يحب الرسول الاعظم ان يكتب في السيرة النبوية ؟! . ولمن

يؤمن بالقرآن ان يكتب في التفسير ، وان كان جاهلاً ؟! . ان في آثار اهل البيت ، وبخاصة امير المؤمنين انواعاً من العلوم والمعارف ، وكنوزاً من الاسرار والحكم لا يبلغها الاحصاء ، ولا شيء منهـا لدى الخاصة من شيعتهم الا الفقه ، بله العامة ! امـا غير الفقه والتشريع فاعتقد ان السُتر لم تكشف عنه حتى الآن

والغريب ان الذين كتبوا ــ منا ــ عن آل الرسول ما زالوا منـذ عهد الشيخ المفيد يكررون ما قاله هذا الشيخ الجليـل من مئات السنين لفظاً ومعنى ، وترتيباً وتبويباً ، دون ان يأخذوا بعين الاعتبـار ظروف التطور لعقول الناس واذواقهم وثقافتهم ، ودون ان يبذلوا اي جهد في الدراسة والتحليل على ضوء ما جد من تغيرات واحداث ، ان الكتابة عن العظماء لم تعد مجرد نقل ، وسرد كرامات ، فقد انتقلت الى استخراج العبر والمثل من حياة العظيم ، وتوجيه القاريء اليهما ، واغرائه بهما ، من حيث يدري ، ولا يدري .

ولو كان لغـير الشيعة مثل علي واولاده[1] لملأوا الكون بمفاخرهم ومآثرهم ، ومنذ أمد غير بعيد قرأنا كتاباً ضخماً للحفناوي وضعه في ابي سفيان الاموي ، لأن النبي (ص) قال يوم فتح مكة : « من دخل دار ابي سفيان فهو آمن » ومن قبله قال الشيخ الخضري في محاضراته : « ان قول الرسول من دخل دار ابي سفيان فهو آمن لشرف عظيم لم ينل احد مثله للان » . هذا ، مـع العلم بان النبي قال يومذاك : « من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ، ومن اغمـد سيفه فهو آمن » اي وان لم يدخل داراً بالمرة ، وبالرغم من كل ذلك فان شرف ابي سفيان عنـد

(١) اي لو دان غير الشيعة بالولاء لعلي كما تدين الشيعة ، والا فعلي للجميع.

الخضري والحفناوي لم ينل مثله احد من الاولين والآخرين ، حتى علي الذي حمله النبي على منكبه ، وكسر الاصنام التي ألهها وعبدها ابو سفيان !.

ومهما يكن ، فلست ادعي انلدي من الرصيد ما يحسن السكوت عنه لدراسة آثار اهل البيت ، كلا ، ثم كلا ، فان تتبعي لها حملني على الاعتقاد بان معرفتها كما هي لا تتيسر الا لمـن كان من ذاك البيت الذي اذهب الله عنه الرجس ، وطهره تطهيرا ، او بلغ من العلم والايمان مبلغ سلمان الذي قال عنه الرسول الاعظم : « سلمان منا اهل البيت » ولكن سيري المتواصل ، وعكوفي على آثارهم ثلاثين سنة او اكثر انتهى بي الى شاطيء اليم ، فاغترفت غرفة سطرتها في هذه الصفحات ، واقسم ان ما من انسان ، اي انسان ، يتفهم كلمـات آل الرسول ، ويتدبر معانيها الا تركت في نفسه قبساً من نور الله ، من حيث لا يحس ولا يشعر .

وقد عنيت عناية خاصة بحروب الامام مع النبي وبعده ، وعرضتهـا عرضاً موجزاً وواضحاً ، لان اكثر القراء يرغبون في الوقوف على حقيقتها ، ويصعب عليهم الرجوع الى المطولات ، والصبر على اسلوبها القديم ، هذا الى ان حروب الامام تبرز شخصيته بأظهر معانيها ، وتعبر عن ثقته بالله وبنفسه ، وعن زهده في الدنيا ، وتواضعه ، وعن جلده وصبره عـلى العواصف والصعوبات ، وعن حبه للخير والسلم ، وعطفه وحنانه ، حتى على اعد اعدائه والد خصومه ، كما تقدم حروب الامام اصدق الشواهد واعدلها على انها كانت من اجل « لا اله الا الله محمد رسول الله » ومن اجل الضعفاء ، وآلام المعوزين .

ثم ان من جملة ما نهدف اليه من هذا الكتاب ان نثبت ان بين السنة والشيعة روابط عديدة وقوية لا رابط واحد ، وانه لا يحاول فصم هذه الروابط الا من يريـد ان يقدم الاسـلام والمسلمين ضحية لاهوائـه

واغراصه ، ولا شيء ادل على ذلك من ان الآيات والاحاديث التي استدل بهما الشيعة على تقديس آل الرسول هي بنفسها الآيات والاحاديث التي استدل بهما السنة على ذلك ، حتى كأن احدهما اخذ عن الاخر ، او انهما قد استقيا من ينبوع واحد ، وهذا عين اليقين وبالتالي ، فان هذه امثلة من « فضائل علي » وليست حصراً ولا احصاء كيف ؟! وقد قال الرسول الاعظم :

« ان الله جعل لاخي علي فضائل لا تحصى كثرة ، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرا بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم ، ومن استمع الى فضيلة من فضائله غفر الله الذنوب التي اكتسبها بالاستماع ، ومن نظر الى كتاب من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر »[1] .

والله سبحانه المسئول ان يجعل ثوابي ـ واياك ايها القارىء ـ ثواب من قرأ ، وكتب ، واستمع ، ونظر بالنبي واله الطاهرين ، والصلاة عليهم اجمعين .

(١) ذكره اخطب خوارزم ، واستدل الشيخ المظفر على صحة هذا الحديث بالشواهد والارقام من كتب السنة . انظر دلائل الصدق ص ٣٢٠ وما بعدها ج ٢ .

لماذا نوالي اهل البيت ؟

ما يجوز على اهل البيت وما لا يجوز :

قال الامام جعفر الصادق (ع) : ما جاءكم منا مما يجوز ان يكون في المخلوقين ، ولم تعلموه ، ولم تفهموه فلا تجحدوه ، وردوه إلينا ، وما جاءكم عنا مما لا يجوز ان يكون في المخلوقين ، فاجحدوه ، ولا تردوه الينا .

اعتاد الناس منذ القديم ان ينسبوا الى العظماء من المناقب والخوارق ما لا عهد لهم بها ولا علم ، وقد يتجاوزون الحد ، وينسبون اليهم ما لا يجوز عليهم بحال ، من ذلك ـ وعلى سبيل المثال ـ ما نسب الى الإمام (ع) انه ركب فرساً ، وصعد الى السماء ، وأصحابه ينظرون اليه .

وبالرغم من ان عظمة اهل البيت لا تقف عند الحد المألوف بين الناس ، فانها لا تتعدى صفات المخلوقين ، ولا تتجاوز حدود الانسانية ومستواها ، لذا حذر الامام الصادق ، ان يرفعهم احد فوق البشر ، وينسب اليهم ما يشعر بالغلو من قريب او بعيد .

وقد روى الرواة عنه في هذا الباب عدة أحاديث باساليب شتى ، منها قوله : « حذروا شبابكم من الغلاة لا يفسدوهم ، فان الغلاة شر خلق الله ، يصغرون الله ، ويدعون الربوبية لعباده » ، وكيف تنسب

الربوبية الى انسان لم يكن عظيما الا لأنه كان أعبد خلق الله لله ، وأكثرهم طاعة له ، وأشدهم خوفاً منه ، وأعلمهم بجلاله وعظمته ؟! .

عقيدة الشيعة

لقد حدد الامام صحة ما يعزى اليهم من الفضائل بأنهـا من صفات المخلوق دون الخالق ، ووضع بهذا الحد الفاصل بين قول الحق والصدق فيهم ، وبين قول الكذب والافتراء عليهم ، وبهذا نجـد عقيدة الشيعة الامامية في أئمتهم على حقيقتها ، وانهم يؤمنون ايماناً لا يشوبه ريب بأنه لا شريك لله في الخلق ، ولا في الرزق ، ولا في عـلم الغيب ، وانه جل وعلا لا يحل باحد ، او يتحد به ، وانه لا نبي ولا وحي بعـد رسول الله ، وان معرفة الأئمة وحدهـا لا تغني شيئاً بدون العبـادات وسائر الطاعات .

الشيعة واهل البيت

ان الشيعة يعبدون الله الذي لا اله سواه ، ولا يشركون بعبادته احدا ، وفي الوقت نفسه يحبون ويمو تون على ولاء آل الرسول ، لا لمجرد انهم عباد وزهاد ، ولا لمجرد انهم علماء يعرفون حلال الله وحرامه ، ولا لمجرد انهم يحبون الخير ، ويكرهون الشر ، ولا لمجرد انهم خدموا الدين والاسلام وضحوا في سبيله فحسب ، ان الشيعة يوالون اهل البيت ، لانهم صورة كاملة لروح النبي وعلمه وايمانه واخلاقه ، ان نفس علي هي نفس محمد بنص آية المباهلة ، حيث عبر النبي عن علي بلفظ انفسنا ، وبأبي التفصيل

في الفصل التالي ، واليك هذا الشاهد على ان آل الرسول صورة عنه ، قالت عائشة : « ما رأيت احداً من خلق الله اشبه حديثا وكلاما برسول الله (ص) من فاطمة » وقال الرواة والمؤرخون : اتت فاطمة الى ابي بكر تطالب بفدك ، ومشيتها مشية رسول الله ، ومنطقها منطق رسول الله فلما رآها المسلمون تذكروا اباهـا ، فاجهشوا بالبكاء ، وكان يوم كيوم مات فيه رسول الله ، لم ير اكثر باكياً وباكية .

ومما جـاء في خطبتها الشائعة الذائعة : « نحن وسيلة الله في خلقه ، ونحن خاصته ومحل قدسه ، ونحن حجته في غيبه ، ونحن ورثة انبيائه » . واي مسلم يدرك هـذا الكلام واسراره ، ثم لا يفنى في طاعـة الآل ومودتهم ؟! فهم خاصة الله ؛ فمن نأى عنهم فقد ابتعد عن الله ، وهم سبيل الله فمن جهل حقهم ، فلا يصل الى الله ، وهم حجة الله ، فمن اخذ عن غيرهم فقد ابتغى غير الله ، ومن هنـا كانت طاعتهم طاعة للرسول بنص حديث الثقلين ، وطاعة الرسول طاعة الله بنص الآية ٧٩ من سورة النساء : « من يطع الرسول فقد اطاع الله » .

من اجل هذا وحده أحب الشيعة محمد وآل محمد اكثر من انفسهم ، ومن الآباء والامهات والابناء ، ودانوا مخلصين بالولاء لهم ، وبالسلم لمن سالمهم ، والحرب لمن حاربهم غير مكترثين ولا مبالين بتهجمات المعاندين ، ولا بتقوّل المفترين ، ما داموا على ثقة من دينهم ، ويقين من تمسكهم بالقرآن الكريم ، وسنة الرسول العظيم .

مـا لعلي وفـدك؟

وهنا سؤال يفرض نفسه : لماذا اهتمت سيدة النساء بفدك كل هذا